

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ

عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: 46]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

تلك الدنيا
سريعة الفناء،
زُيِّنَتْ بِالْمَالِ
والبَنِينَ

بعد أن أوردَ النَّظْمُ الجليلُ مثلاً ضربَه للنَّاسِ؛ ليدلَّ على حقارةِ الدُّنْيَا، وسرعةِ زوالِها، وانقراضِها، وانقضائِها، وأنها مُشْرِفَةٌ على الزَّوَالِ والبُورِ والفناء؛ لكيلا يَرَكُنُوا إليها، ولا يَجْعَلُوهَا أَكْبَرَ هَمِّهِمْ وَمُنْتَهَى آمَالِهِمْ؛ بيِّنَ بعد ذلك أَنَّ حَقِيقَةَ المَالِ والدُّرِّيَّةِ ما هي إِلَّا زِينَةُ سَرِيعَةِ الزَّوَالِ، فقال: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾⁽¹⁾، فبيَّن النَّظْمُ الكريمُ ما كانوا يَفْتَخِرُونَ به من مُحَسِّنَاتِ الدُّنْيَا بعد بيان حالِها بذلك المَثَلِ، فالأموالُ والبَنُونَ التي يَفْخَرُ بها المشركون هي مِن زِينَةِ هذه الحَيَاةِ التي عِلِمْتُمْ سرعةَ زوالِها وفنائِها، فلا ينبغي التَّفَاخُرُ بها⁽²⁾.

✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿وَالْبَنُونَ﴾: (بنو) أصلٌ، وهو الشَّيْءُ يَتَوَلَّدُ عَنِ الشَّيْءِ، كَابْنِ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ⁽³⁾، والابنُ عند الجمهور أصله: بنو، حُذِفَتْ لَامُهُ وَعَوَّضَ عنها همزةُ الوصلِ في أوَّلِهِ، كاسم، وابنةٌ مؤنثةٌ، وكذلك بنتٌ، ويُجمع ابنٌ على أبناءٍ تكسيراً، وَيُصَحَّحُ، فيُرفعُ بالواو، وَيُنْصَبُ، ويجرُّ بالياء (بنون وبنين)، قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ [الشعراء: 88]، وقيل: ابنٌ اشتقاقاً مِنَ البناءِ؛ لأنَّه بناءٌ أبيه، أي: أصلٌ في

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 467/21، ووطنطاوي، التفسير الوسيط: 525/8 - 526.

(2) المرآة، تفسير الراعي: 15/154.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بنو).

وجوده، وقيل لكل من كان يحصل من جهته: ابن، ولملازم الشيء، نحو: هو ابن السبيل، وابن الحرب⁽¹⁾.

(2) ﴿زَيْنَةُ﴾: (زين) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى حُسْنِ الشَّيْءِ وَتَحْسِينِهِ، فَالزَّيْنُ نَقِيضُ الشَّيْنِ، يُقَالُ: زَيْنْتُ الشَّيْءَ تَزْيِينًا، وَأَزَيْنْتُ الْأَرْضَ وَأَزْدَانْتُ؛ إِذَا حَسَّنَهَا عُشْبُهَا⁽²⁾، وَزَيْنَةُ؛ إِذَا أَظْهَرَ حُسْنَهُ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَزَيْنَتْهَا لِلنَّظِيرِينَ﴾ [الحجر: 16]، إِشَارَةٌ إِلَى الزَّيْنَةِ الَّتِي تُدْرِكُ بِالْبَصَرِ، وَإِلَى الزَّيْنَةِ الْمَقُولَةِ الَّتِي يَخْتَصُّ بِمَعْرِفَتِهَا الْخَاصَّةُ، وَتَزْيِينُ اللَّهِ لِلْأَشْيَاءِ قَدْ يَكُونُ بِإِدَاعِهَا مُزَيْنَةً، وَإِيجَادُهَا كَذَلِكَ⁽³⁾، وَتَزَيْنَتْ الْأَرْضُ بِالنَّبَاتِ، أَي: حَسُنَتْ، وَبَهَجَتْ، وَالزَّيْنَةُ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ شَيْءٍ يُتَزَيَّنُ بِهِ⁽⁴⁾.

(3) ﴿وَالْبَاقِيَتْ﴾: (بقي) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى الدَّوَامِ⁽⁵⁾، وَالْبَقَاءُ: ثَبَاتُ الشَّيْءِ عَلَى حَالِهِ الْأَوَّلِيِّ، وَهُوَ يُضَادُّ الْفَنَاءَ، وَلَكُونُ مَا فِي الْآخِرَةِ دَائِمًا، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [القصص: 60]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْبَاقِيَتْ الصَّالِحَاتُ﴾، أَي: مَا يَبْقَى ثَوَابُهُ لِلْإِنْسَانِ مِنْ الْأَعْمَالِ، وَهِيَ كُلُّ عِبَادَةٍ يُقْصَدُ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ تَعَالَى⁽⁶⁾، وَبَقَاؤُهَا يَعْنِي: بَقَاءَ فَوَائِدِهَا، وَ"عَوَائِدُهَا عِنْدَ فَنَاءِ كُلِّ مَا تَطْمَحُ إِلَيْهِ النَّفْسُ مِنْ حُظُوظِ الدُّنْيَا"⁽⁷⁾.

(4) ﴿الصَّالِحَاتُ﴾: (صلح) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الْفَسَادِ، يُقَالُ: صَلَحَ الشَّيْءُ يَصْلُحُ صَلَاحًا⁽⁸⁾، فَالْصَّلَاحُ: ضِدُّ الْفَسَادِ، وَهُمَا مُخْتَصَّانِ فِي أَكْثَرِ الْأَسْتِعْمَالِ بِالْأَفْعَالِ، وَقَوْلُهُ فِي الْقُرْآنِ تَارَةً بِالْفُسَادِ، وَتَارَةً بِالسَّيِّئَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: 102]، ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: 56]⁽⁹⁾، وَالْمُرَادُ بِالصَّالِحَاتِ فِي الْآيَةِ: الْأَعْمَالُ النَّافِعَةُ، فَعَبَّرَ عَنِ الْمَنْفَعَةِ بِالصَّلَاحِ؛ لِأَنَّ الْمَنْفَعَةَ مُصْلِحَةٌ⁽¹⁰⁾.

(1) السمين الحلبي، عمدة الحقاظ: (بنو).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (زين).

(3) الزاغبي، المفردات: (زين).

(4) ابن منظور، لسان العرب: (زين).

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بقي).

(6) الزاغبي، المفردات: (بقي).

(7) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 225/5.

(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صلح).

(9) الزاغبي، المفردات: (صلح).

(10) اللارودي، التكت والعيون: 310/3.

(5) ﴿أَمَلًا﴾: (أمل) أَصْلُ يَدُلُّ عَلَى التَّثَبُّتِ وَالْإِنْتِظَارِ، وَالْأَمَلُ: الرَّجَاءُ، فَتَقُولُ: أَمَلْتُهُ أَوْ مَلَّهُ تَأْمِيلًا، وَأَمَلْتُهُ أَمَلَهُ أَمَلًا، وَهَذَا فِيهِ بَعْضُ الْإِنْتِظَارِ⁽¹⁾، وَالْجَمْعُ: آمَالٌ، وَيُقَالُ: أَمَلَ خَيْرَهُ، وَمَا أَطْوَلَ إِمْلَتَهُ أَي: أَمَلَهُ، وَالتَّأَمُّلُ: التَّثَبُّتُ، وَتَأَمَّلْتُ الشَّيْءَ، أَي: نَظَرْتُ إِلَيْهِ مُسْتَنْبِتًا لَهُ⁽²⁾، وَالْأَمَلُ: ظَنُّ الْبَقَاءِ، وَالطَّمَعُ فِي زِيَادَتِهِ⁽³⁾، وَالْأَمَلُ: هُوَ شَيْءٌ يُرْجَى تَحْصِيلُهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَلِيَهُمُ الْأَمَلُ﴾ [الحجر: 3]، أَي: الْأَمَلُ فِي تَحْصِيلِ الدُّنْيَا هُوَ الَّذِي يُلْهِمُهُمْ، وَيَشْغُلُهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ⁽⁴⁾، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَحَيْرٌ أَمَلًا﴾، أَي: "وَحَيْرٌ رَجَاءٌ؛ لِأَنَّ صَاحِبَهَا يَأْمَلُ فِي الدُّنْيَا ثَوَابَ اللَّهِ، وَنَصِيْبَهُ فِي الْآخِرَةِ، دُونَ ذِي الْمَالِ وَالْبَنِينَ الْعَارِي مِّنَ الْبَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ، فَإِنَّهُ لَا يَرْجُو ثَوَابًا"⁽⁵⁾.

❖ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُخْبِرُ النَّظْمُ الْجَلِيلُ أَنَّ الْمَالَ وَالْبَنِينَ مِنْ زِينَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ لِإِعَانَتِهِمَا فِيهَا، وَوُجُودِ الشَّرَفِ بِهِمَا، وَلَيْسَا مِنْ أَسْبَابِ الشَّرَفِ الْآخِرِيِّ، أَمَّا الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ الَّتِي تَبْقَى ثَمَرَاتُهَا الْآخِرِيَّةُ مِنَ الْإِعْتِقَادِ، وَحُسْنِ الْأَخْلَاقِ وَالْعِبَادَاتِ؛ فَخَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمَالِ وَالْبَنِينَ فِي الْجَزَاءِ وَالْفَائِدَةِ، وَخَيْرٌ مِّمَّا يَتَعَلَّقُ بِهِمَا مِنَ الْأَمَلِ⁽⁶⁾.

❖ الْإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالْبَدَاعِيُّ:

دَلَالَةُ الْاسْتِنَافِ فِي قَوْلِهِ: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ﴾:

الْجُمْلَةُ فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

الْخَيْرُ كُلُّ الْخَيْرِ
فِي الْأَعْمَالِ
الصَّالِحَةِ الْبَاقِيَّةِ
دُونَ الزَّيْنَةِ
الزَّائِلَةِ

زِينَةُ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا زَائِلَةٌ
مَنْقُطَةٌ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أمل).

(2) ابن منظور، لسان العرب: (أمل).

(3) السمين الحلي، عمدة الحفاظ: (أمل).

(4) جبل، اللعجم الاشتقاقي للؤصل: (أمل).

(5) أبو حيان، البحر المحيط: 186 / 7.

(6) القاسمي، محاسن التأويل: 39 / 7.

استئنافاً، جيءَ بها لبيان شأن ما كانوا يفتخرون به من زينة الدنيا، كما قال الكافر لأخيه: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: 34]، بعد أن بينَ شأن الحياة نفسها بالمثل المضروب⁽¹⁾.

وفائدة ذلك الموعظة والعبرة، بأنَّ النعمة التي لدى المشركين ما هي إلا زينة زائلة⁽²⁾، فلما قال تعالى: ﴿وَأَصْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: 45]، وقال بعد ذلك: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾: جيءَ بينهما ببيان شأن المال والبنين، وشأن الأعمال الصالحة لمناسبة السياق لهذه الموعظة.

الغرض من التعبير بالجملة الاسمية:

عبر النظم الجليل بالجملة الاسمية في قوله جلَّ شأنه: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾؛ دلالة على أنَّ مضمون الجملة حقيقة ثابتة، وتأكيذاً للمعنى، وتقويةً للخبر، فلا يخفى أنَّ المال والبنين من زينة الحياة الدنيا، فإنَّ في المال جمالاً ونفعاً، وفي البنين قوَّةً ودفعاً⁽³⁾.

نكتة تقديم المال على البنين:

قدَّم النظم الجليل ذكر المال على البنين في قوله جلَّ شأنه: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ مع أنَّ الأبناء أعزُّ من المال عند غالب الناس؛ وذلك لعراقته في أمر الزينة، وأصالتها في ذلك، ولأنَّه يُحقِّقُ الزينة بدونهم من غير عكسٍ، فإنَّ من له بنونٌ بغير مالٍ هو في أضيق حالٍ، وهو أبعد ما يكون عن الزينة⁽⁴⁾، كما أنَّ الزينة بالمال

من حقائق
الدُّنيا الرَّاسخة
أنَّ الأموال
والأبناء زينة

الأموال هي
الأصل في زينة
الحياة الدنيا

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 225 / 5.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 332 / 15.

(3) طنطاوي، التفسير الوسيط: 526 / 8.

(4) طنطاوي، التفسير الوسيط: 527 / 8.

أظهر وأتم؛ لأنه يمدُّ الآباء والأبناء في كلِّ حين، ولأنَّه العمدة في بقاء النفس والأولاد، كما أنَّ الحاجة إليه أمسُّ⁽¹⁾.

نُكْتَةُ إِفْرَادِ الْخَبَرِ ﴿زِينَةُ﴾:

آثر النظم الكريم التعبير عن الزينة بالإفْرَادِ دون التثنية في قوله جلَّ شأنه: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، فلم يقل: (المال والبنون زينتا الحياة)، فهي مسندة إلى اثنين، فالظاهر وجوب تثنيتهما؛ وذلك لأنها مصدرٌ يستوي فيه الواحد والجمع، والتعبير بالمصدر يُفيدُ المبالغة، فكأنهما الزينة ذاتها؛ لتأكيد كَوْنِ أَنَّ ما يفتخرون به من المال والبنين إنما هو شيءٌ يُتَزَيَّنُ به في الحياة الدنيا⁽²⁾، فهما ليسا بشيء سوى الزينة الزائلة وشيكًا.

سِرُّ إِضَافَةِ الزَّيْنَةِ إِلَى الْحَيَاةِ:

أضاف النظم الجليل الزينة إلى الحياة الدنيا في قوله جلَّ شأنه: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾؛ إشارة إلى أنها لا تدوم، فلا ينبغي الحرص عليها، فلما عَلِمَ أَنَّ الحياة الدنيا تؤوِّلُ إلى زوالٍ في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَأَصْرَبْ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾ [الكهف: 45]؛ عَلِمَ أَنَّ ما كان زينة لها سيزول مع زوالها، فلا ينبغي الاغترار به، والتهاكُّ عليه، وفيه تمهيدٌ لبيانِ على أي شيء ينبغي الاجتهاد والعمل، وهو الأعمال الصالحة الباقية المذكورة لاحقًا، وفي "إضافة الزينة إلى الحياة الدنيا تحقيقٌ لشأنها، وتفسيرٌ عنها"⁽³⁾؛ لكون هذه الزينة مختصةً بها، لا تتجاوزها إلى غيرها على قصر أمدِها، وقلة زادها⁽⁴⁾.

المال والبنون
هما الزينة
ذاتها، والزينة
وشيكَةُ الزوالِ

ما كان زائدًا فإنَّ
ما يُضاف إليه
زائلٌ معه

(1) المِراغِي، تفسير المِراغِي: 15 / 154.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 225 / 5.

(3) إسماعيل حقي، روح البيان: 239 / 5.

(4) القاسمي، محاسن التأويل: 39 / 7.

سِرُّ تقييد الحياة بصفة الدنيا:

وصفَ النَّظْمُ الجليل الحياةَ بصفة الدنيا في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾؛ للدلالة على قُربها وسرعة زوالها، وللتهوين من شأنها، والتحقيق لها، وتزهيد المؤمنين بتلك الزينة التي لا تلبث أن تزول.

قُرِبَتِ الدُّنْيَا
وَأَوْشَكَتْ عَلَى
الرَّوَالِ

ویردُ تركيبُ ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ في القرآن الكريم عمومًا، وفي هذا الموضع خصوصًا عندما يريدُ البيان القرآني أن يُصوِّرَ استغراق الإنسان في هذه الحياة، وعدمَ عنايته بما بعدها، واغترازه بأهوائها وشهواتها، وكأنَّها هي الحياةُ الأبديةُ⁽¹⁾.

الإنسانُ مغترَّبٌ
بأهواء الحياة
الدُّنْيَا ومَلَذَّاتِها

دلالة العطف في: ﴿وَالْبَقِيَّةُ﴾:

الجملةُ في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ معطوفةٌ على الجملةِ في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾⁽²⁾؛ إذ لما بيَّن تعالى أن المالَ والبنينَ زينةٌ زائلةٌ؛ عطفَ عليه مقابلةً ممَّا لا يزولُ، وهو الأعمالُ الصَّالحةُ، فقد دأبَ النَّاسُ على التَّفَاخُرِ بما هو في هذه الحياةِ الدُّنْيَا، ولكن ما هو أفضلُ من ذلك وأحقُّ أن يَسْعَى الإنسانُ إليه هي الأعمالُ الباقيةُ مِنَ الأقوال الطَّيِّبَةِ، والأعمالِ الحسنةِ، التي تبقى ثمارُها للإنسان؛ إذ ينالُ بها صاحبُها في الآخرة الفوزَ بنعيمِ الجنة، أمَّا المالُ والبنونُ؛ فزائلان⁽³⁾.

مُقابِلَةُ الزَّيْنَةِ
الرَّائِلَةِ بِمَا
يُقَابِلُهَا مِمَّا لَا
يَزُولُ

سِرُّ التَّقييد بصفة الباقيات الصَّالحات:

قَيَّدَ النَّظْمُ الجليل بصفتي الباقياتِ الصَّالحاتِ في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾، فهما صفتانٍ لمحدوفٍ، أي: الأعمالُ الصَّالحةُ الباقيةُ، أي: التي لا

مطلَبُ العقائدِ
الأعمالُ الباقيةُ
النَّافعةُ التي لَا
يَزُولُ نفعُها

(1) أبو عودة، التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم - دراسة دلالية مقارنة، ص:

349 - 350.

(2) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 8 / 199.

(3) طنطاوي، التفسير الوسيط: 8 / 527.

زوالٍ لخيرها، وصفة الصالحات تقوم مقام الاسم، فلما كثر لفظ (العمل الصالح)؛ صار لفظ (الصالح) بمنزلة الاسم الدال على عملٍ خيرٍ، كقوله جلَّ شأنه: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الكهف: 107]⁽¹⁾، وإنما وُصِفَ العملُ بكونه صالحاً لما فيه من منفعة؛ لأنَّ المنفعة مصلحة⁽²⁾، و"يُفَرَّقُ بينها وبين الباقيات السيئات التي يخلدون بها في النار"⁽³⁾.

دلالة التعبير باسم التفضيل ﴿حَيْرٌ﴾:

عبر النظم الجليل باسم التفضيل ﴿حَيْرٌ﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ حَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَحَيْرٌ أَمَلًا﴾؛ للدلالة على أنَّ الأعمال الصالحة الباقية أفضل من زينة المال والبنين الزائلة بزوال الدنيا، فالأعمال الصالحة خيرٌ من الزينة الفانية⁽⁴⁾، ولم يقل: (أفضل)؛ لأنَّ لفظ الخيرية دالٌّ على الأفضلية فيما يُرغَب فيه، ويطلب لمنفعته.

سرُّ التقييد بالطرف ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾:

قيّد النظم الجليل خيرية الأعمال الصالحة بالطرف ﴿عِنْدَ﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ حَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَحَيْرٌ أَمَلًا﴾ لبيان أنَّ ظهور تلك الأفضلية وآثارها حاصل يوم القيامة؛ لأنَّ الإنسان أحوَجُ ما يكون لما سعى في تحصيله أن يجده وقت حاجته، فكفى الله تعالى المؤمنين بأن حفظ لهم تلك الأعمال إلى يوم يكون النفاضل فيه بما كَسَبَ الإنسان، وَجَنَّتْ يداها⁽⁵⁾، فقوله: ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ "أي: في الآخرة، وهو بيان لما يظهر فيه آثار خيريتها، بمنزلة إضافة الزينة إلى الحياة الدنيا، لا لأفضليتها فيها من المال

الأعمال
الصالحة خيرٌ
من زينة الدنيا
الزائلة

في يوم القيامة
يحفظ الله
تعالى للمؤمنين
أعمالهم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 332 / 15 - 333.

(2) للوردني، التكت والعيون: 3 / 310.

(3) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 14 / 8927.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 12 / 69.

(5) البقاعي، نظم الدرر: 12 / 69 - 70.

والبنين مع مشاركة الكل في الأصل؛ إذ لا مشاركة لهما في الخيرية في الآخرة⁽¹⁾.

سِرُّ إِضَافَةِ الظَّرْفِ إِلَى الرُّبُوبِيَّةِ:

أضاف النّظْمُ الجليل الظرف إلى لفظ الرُّبُوبِيَّةِ في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّلَاحُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾؛ إشارة إلى أنه تعالى المُحْسِنُ إلى عباده، فلا يضيع عنده أجرٌ عاملٍ منهم، وفيه تأكيدٌ لتلك الخيرية، فالذي رجَّحها، وفضلها هو الرُّبُّ ﷻ، الذي يعلمُ عواقبَ الأمور، فيرشدُ عباده لمعالي الأعمال وأفضلها، كما أنه يدلُّ على أنَّ أفضلية الباقيات الصالحات حاصلة في كلا الدارين، وفي ذلك قال البقاعي رحمه الله تعالى موجزاً: "﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾، أي: الجليل المواهب، العالم بالعواقب، وخيرٌ من المال والبنين في العاجل والآجل"⁽²⁾.

سِرُّ التَّقْيِيدِ بِالتَّمْيِيزِ ﴿ثَوَابًا﴾:

جعل النّظْمُ الجليل ﴿ثَوَابًا﴾ تمييزاً لاسم التّفضيلِ ﴿خَيْرٌ﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّلَاحُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾؛ للدلالة على الأجر في الآخرة، فمعنى الثَّوَابِ هو ما يرجعُ إلى الإنسان من جزاءِ أعماله⁽³⁾، وذلك لبيان أن ميزانَ التفاضل إنما يكون في تلك الدار، فهناك تظهرُ أفضلية الأعمال، وأنَّ الزينةَ الفانية لا تعودُ على صاحبها بمنفعةٍ، فالباقيات الصالحات تعودُ على صاحبها بالخير والبركة، فمعنى قوله تعالى: ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ "أنَّها دائمةٌ باقيةٌ وخيراتُ الدنيا مُنْقَرِضةٌ فانيةٌ، والدائمُ الباقي خيرٌ من المنقرضِ المنقضي"⁽⁴⁾.

النَّعِيمُ عَلَى
عِبَادِهِ الْمُحْسِنِ
إِلَيْهِمْ لَا يَضِيعُ
عِنْدَهُ أَجْرُ عَامِلٍ

الدَّارُ الْآخِرَةُ
مِيزَانُ الْأَعْمَالِ،
وَمَعْيَارُ التَّفَاضُلِ
بَيْنَهَا

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 225 / 5.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 70 / 12.

(3) الزاغ، المفردات: (ثوب).

(4) أبو حيان، البحر المحیط: 186 / 7.

دلالة تكرار لفظة «خَيْرٌ»:

استقلال
الموصوف بصفة
الخير أفضلية
مستحقة على
جهة الاستقلال

كَّرَرَ النَّظْمُ الجليل لفظَ الخير مرَّتين في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾، وذلك لمزيد الاعتناء ببيان الخيرين، وللإشعار باختلاف حَيْثِيَّتِي الخيرِيَّةِ والمبالغة⁽¹⁾، فكلُّ حَيْثِيَّةٍ مستقلةٌ بخيرِيَّةٍ، فالثَّوَابُ على الأعمالِ الصَّالحةِ أَفْضَلُ مِنْ زينةِ الحياةِ الدُّنيا، كما أَنَّ ما يَأْمُلُهُ، وما ينتظره المؤمنون في تلك الدَّار هو كذلك خيرٌ مِنْ زينةِ الحياةِ الدُّنيا، فتكرارُ الخيرِ لاستقلال كلِّ لفظٍ بخيرِيَّةٍ تأكيدًا للأفضليَّةِ، أي: إِنَّ نَوْعَ (الخيرين) مختلفٌ، فالأوَّلُ عاجِلٌ في الدُّنيا، والثَّاني أَمَلٌ ورجاءٌ في الآخرة⁽²⁾.

سِرُّ التَّقْيِيدِ بِالتَّمْيِيزِ «أَمَلًا»:

جزاء الأعمال
الصَّالحة وعدُّ
إلهيٍّ محققٍ،
خيرٌ مِنْ آمالِ
أهلِ الدُّنيا

مَيَّزَ النَّظْمُ الجليل خيرِيَّةَ الباقياتِ الصَّالحاتِ، بأنَّ تلكَ الخيرِيَّةَ كائنةٌ بالأملِ في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾؛ للدَّلالة على أفضليَّةِ ما ينتظره المؤمنُ مِنْ رَبِّهِ في تلكِ الدَّارِ، على ما يَأْمُلُهُ النَّاسُ مِنَ المَالِ والبنين في هذه الحياة؛ فَإِنَّ آمَالَ الدُّنيا مشكوكٌ فيها، مقصورةٌ مدَّتْها، أمَّا ثَوَابُ الأعمالِ الصَّالحةِ فمقطوعٌ بحصولها؛ لَأَنَّها وعدٌ مِنَ الجليل صادق الوعد، وَمِنْ تلكَ الخيرِيَّةِ أَنَّ منفعةَ الأعمالِ الصَّالحةِ تحصلُ في الدُّنيا، كما أَنَّها وعدٌ في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرَ أَوْ أَنْتَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التَّحَلُّ: 97]⁽³⁾، فمعنى قوله تعالى: ﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾، أي: "خيرٌ رجاءٌ؛ لأنَّ صاحبها يَأْمَلُ في الدُّنيا ثَوَابَ اللَّهِ ونصيبه في

(1) القاسمي، محاسن التَّأْوِيل: 39 / 7، 711.

(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9 / 4539.

(3) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 15 / 334.

الآخرة، دون ذي المال والبنين العاري من الباقيات الصالحات، فإنه لا يرجو ثواباً⁽¹⁾.

❖ الفروق المعجمية:

الزينة والحلية:

(زين) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى حُسْنِ الشَّيْءِ، وَالزَّيْنُ نَقِيضُ الشَّيْنِ، يُقَالُ: زَيَّنْتُ الشَّيْءَ تَزْيِينًا⁽²⁾، وَالزَّيْنَةُ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ شَيْءٍ يَتَزَيَّنُ بِهِ، وَتَزَيَّنَتِ الْأَرْضُ بِالنَّبَاتِ، أَي: حَسُنَتْ، وَبَهَجَتْ⁽³⁾، أَمَّا الْحِلْيَةُ: فَمَنْ (حَلَوَ)، وَهُوَ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى تَحْسِينِ الشَّيْءِ، وَالْحُلْيُ: حُلْيُ الْمَرَاةِ، وَهُوَ جَمْعُ حَلَى⁽⁴⁾، وَالْحَلِيَّةُ: مَا يُزَيَّنُ بِهِ مِنْ مَصْوَغِ الْحِجَارَةِ وَالْمَعْدَنِيَّاتِ⁽⁵⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ﴾ [الأعراف: 148]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يُحَلَّلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ [الكهف: 31]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَحُلَّتْ أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: 21]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَوْ مِنْ يَنْسَوُا فِي الْحَلِيَّةِ﴾ [الزخرف: 18]، وَقَدْ آثَرَ النَّظْمُ الْقُرْآنِيُّ التَّعْبِيرَ بِالزَّيْنَةِ دُونَ الْحَلِيَّةِ؛ لِأَنَّ الْمَالَ وَالْبَنِينَ لَيْسَا مِنَ الْمَصْوَغَاتِ، وَهُمَا يَنْدَرِجَانِ ضَمْنَ الزَّيْنَةِ، فَهِيَ أَعَمُّ وَأَشْمَلُ؛ وَلِذَلِكَ نَاسَبَتْ سِيَاقَ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ.

الزَّيْنَةُ اسْمٌ شَامِلٌ لِكُلِّ مَا يُتَزَيَّنُ بِهِ، وَالْحَلِيَّةُ الزَّيْنَةُ بِالْمَصْوَغَاتِ

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 7 / 186.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (زين).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (زين).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حلو).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقي للوُضَل: (حلو - حلي).

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثلاثون،
سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريم الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريم الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 30 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-27-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 30 : المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريم الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-27-2

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-9725630 بتاريخ 2024/11/04م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية : E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»